الجدار المُحرَّم

في ظِلِّك المشؤومِ قمت أرتجف
بنيانك في الأفق يسعى... لا يقف
يلتفُّ كحبلِ شَنْقٍ.. كأفعى تعتصر
أنفاسَ الحياةِ وأرزاقَ البشر

الأرضُ تحتكَ تمْقتك
وأحارُ كيف أُعرِّفك!

أحاجزٌ أنت تواري عنّا يأسَهُم؟
أم قفصٌ لاذ خلف قضبانِك أمْنُهُم؟
أم حائطٌ تفصِلُ عِرْقنا عن عرقِهم؟

الأرضُ تحتكَ تمْقتك
كيف تراها تُعرِّفك؟

أدنو فيغالبني جمُّ النفور
أسطُحُك الملساءُ حُبلى بالشرور
ألمس الباردَ الباهتَ منها كالقبور
فأصْعَقُ برجعِ تيارٍ يتردد... يدور
ويلاه!...يا ويلتاه... آلامٌ تمور

صخورُك تكدسَّت فما أُلجِم النداء
دعوةُ المظلومِ وقد بلغتْ عنانَ السماء
في كل شبرٍ منك ترسو فتثور...براكين بكاء
وتحفر عليك سِجِّلَّ حكايات الدمار
ما أنت مجرد حاجزٍ، أو قفصٍ أو جدار!

وإذ يرتعدُ التاريخُ يمْقتك
تُلوّنك الأرضُ تُعَرّفُك:

قُرمزية آفاقنا منذ دير ياسين إذ ودَّعتْ
دماءَ قتلانا وأشلاءَ فتيانٍ قد تفحَّمتْ

رماديٌّ ركامُ دُورِنا ودروبِنا مُذ حُطِّمتْ
عذبةٌ أنهارُنا... حُوِّلتْ إليهم فما رَوَتْ

خضرةُ بساتيننا غَدَتْ أحلاماً لنا مَضَتْ
ولَوَّنَ واقِعَنا بياضُ كَفَنٍ في حُضْنِ الذهب

ما ألجم صخرُكَ أصداءَ النداء
وأرضُنا تحتك تكويك بنيران الفِداء
حيثما تلتوي اليوم، أراضينا مقدسة
هي كجنةِ عَدْنٍ عليك أبداً مُحَرَّمة!

مارّاً تعبرها كالغيتو، مرَّ اللِئام
كحائطِ برلينٍ... لن يبقى منك إلا الرُكام

يُعَرّفك التاريخُ: نُصبَ العار!
يا وَصْمَةً ارتسمت على جبينِ البشر
تُكْرَه فتُحْتقَرْ.. تُدانُ فتُهدَمْ... ثم تنتَشِر
أشلاءً ينادي عليها الجوَّالونَ أن اشتروا
بأبْخَسِ الأثمانِ تذكاراً لِمَنْ ذكر
مملكةً قامتْ.. وزالتْ في يومٍ غابرٍ من دهر.